الزنـا الأسباب والعلاج

فإن الإسلام لا يرضى عن الفواحش ، وينهى عن قربانها فضلا عن إتيانها، وهو يحرم الوسائل ويسد الأبواب التي تؤدي إليها كتحريمه الجلوس على مائدة أو في مجلس يدار فيها الخمر وكتحريمه النظر فهو يؤدي إلى اقتراف الزنا وفساد القلب، فكل وسيلة تؤدي إلى محرم أو منهي عنه محرم في الشريعة الإسلامية.

قال تعالى: "ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً" [الإسراء:٣٢].
ومن أكبر الكبائر الثلاث: الكفر، ثم قتل النفس بغير الحق، ثم الزنا كما رتبها الله في قوله: "والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماًَ" [الفرقان:٦٨].
وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: ((قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك)).
قال شيخ الاسلام ابن تيمية: ولهذا الترتيب وجه معقول، وهو أن قوى الإنسان ثلاثة قوة العقل، وقوة الغضب، وقوة الشهوة.
هذه الفاحشة التي ترفضها الفطر والعقول السليمة يأنف منها غير الادميين من الحيوان والطير، فقد ذكر البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي أنه رأى في الجاهلية قردا يزني بقردة فاجتمعت القرود عليه حتى رجمته.
وقال ابن تيمية: وحدثني بعض الشيوخ الصادقين أنه رأى نوعا من الطير قد باض، فأخذ الناس بيضه وجاؤوا ببيض جنس آخر من الطير، فلما انفقس البيض خرجت الفراخ من غير الجنس، فجعل الذكر يطلب جنسه حتى اجتمع منهن عدد، فما زالوا بالأنثى حتى قتلوها. قال الشيخ: ومثل هذا معروف في عادة البهائم.

ولعظم جرم الزنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء على عدم مقارفته، كما يبايعهن على عدم الإشراك بالله تعالى: "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً و لا يسرقن و لا يزنين" [الممتحنة:١٢].

وكان العرب وهم مشركون يحرمون الفواحش، وربما قتل بعضهم البنات خشية العار، فنهى القرآن عن قتلهن بغير حق، ورتب العقوبة المناسبة للفاحشة، ولهذا استغربت هند بنت عتبة بن ربيعة، حين بايعها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان فيما بايعها، على عدم الزنى.
وقالت: [أو تزني الحرة؟] وكان الزنى معروفا عندهم في الإماء.

= الأسباب المؤدية للزنى:

أولاً: ضعف الإيمان واليقين،

فإذا ضعف هذا العامل نسي المرء أو تناسى الوعد و الوعيد، وأمن العقوبة، وتباعد الفضيحة، وقل في حسه ميزان الرقابة، وانحسر ميزان الرقابة، وانحسر الخوف من الجليل، وقد سبق الحديث: ((لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن)) وفي الحديث الاخر ((من زنى خرج منه الإيمان، فإن تاب تاب الله عليه))، ومن صفات المؤمنين .كما جاء في القران الكريم . أنهم لا يزنون.

ثانياً: النظرة المحرمة،

إذ هي سهم من سهام الشيطان، تنقل صاحبها إلى موارد الهلكة، وإن لم يقصدها في البداية ولهذا قال تعالى: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن" [النور:٣٠-٣١].
وتأمل كيف ربط بين غض البصر وحفظ الفرج في الآيات، وكيف بدأ بالغض قبل حفظ الفرج لأن البصر رائد القلب، كما أن الحمى رائد الموت، كما قال الشاعر:

ألم تر أن العين للقلب رائد   فما تألف العينان فالقلب إلف

وفي السنة بيان لما أجمله القرآن في أثر النظرة الحرام، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله كتب على ابن ادم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان، وزناهما النظر...الحديث)) وهو سبحانه وتعالى يسمي اختلاس النظر إلى المحرم خيانة وذلك عندما يبين لنا سعة علمه واطلاعه فيقول: "يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" [غافر:١٩]. إنه لا يحل لرجل أن ينظر إلى امرأة غير زوجته أو محارمه من النساء.

أما نظرة الفجأة فلا إثم فيها ولا مؤاخذة إذ هي خارجة عن إرادة الإنسان ، ويجب على من وقع له نظرة الفجأة أن يصرف بصره سريعاً لقوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: [يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة]، رواه أحمد وأبو داود.

وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري].

إن النظر بريد الزنا وداع من دواعيه ومقدمة من مقدماته بل إن النظر بحد ذاته يسمى زنا .

جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: [كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أويكذبه]. وهذا محمول على ما إذا كان الصادر عن هذه الحواس في معصية الله.

ولقد جعل الإسلام من حق الطريق غض البصر فقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لما سألوه: [وما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر]، رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (ولقد كره الشعبي أن يديم الرجل النظر إلى ابنته أو أمه أو أخته، وزمانه خير من زماننا هذا، وحرام على الرجل النظر إلى ذات محرمه نظرة شهوة يرددها).

فاذا كان هذا في القرن السابع الهجرى فماذا لو رأى القرطبي زماننا نحن، وماذا عساه يقول عن كلام الشعبي؟ وإذا كان هذا في النظر إلى المحارم فكيف يكون الحال في النظر إلى الأجنبيات او إلى الصور الخليعة او المسلسلات الهابطة التى تختلط فيها النساء بالرجال؟

ثالثاً: كثرة خروج المرأة وتبرج النساء، وتكسرهن في المشية، وإلانتهن القول،

فهذه وتلك فواتح للشر تطمع الذي في قلبه مرض. وتفتن المستمسك إلا أن يعتصم بالله، وقد نهى الله نساء المؤمنين عن ذلك كله حماية لأعراضهن وصونا لغيرهن عن مواطن الريب، قال تعالى: "وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" [الأحزاب:٣٣].

ويقول تعالى مخاطبا نساء النبى صلى الله عليه وسلم – وغيرهن من باب أولى "فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً" [الأحزاب:٣٢].

إن مما يؤسف له أن تملأ نساء المسلمين الأسواق العامة، وأن تظهر المرأة بكامل زينتها، وأن ينزع الحياء منها فتخاطب الأجانب وكأنما هم من محارمها، وربما ساءت الأحوال فكانت الممازحة والمداعبة، وتلك وربي من قواصم الظهر ومن أسباب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

إذا كانت هذا منطق الإسلام وهدي سيد الأنام فما بال أقوام يتعللون بالثقة أحيانا ويتذرعون بالحاجة أحياناً أخرى، والثقة شئ وسد الذرائع الموصلة إلى الحرام شيء آخر، والمعرفة المجردة بالأحكام شيء، والانصياع والتطبيق والرضا والتسليم لشرع الله شيء آخر: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً" [الأحزاب:٣٦].

رابعاً: استقدام الخدم والسائقين:

تلك المصيبة التى عمت وطمت، وامتلأت بها البيوت لحاجة ولغير حاجة، واعتاد الرجال على الدخول مع النساء المستخدمات وكأنهن من ذوات المحارم وربما تطور الأمر عند الآخرين فجعلها تستقبل الزائرين وتقدم الخدمة للآخرين؟

وليس أقل من ذلك إتاحة الفرصة للسائقين الأجانب بدخول البيوت دون رقيب، إن أحداث الزمن وواقع الناس يشهد بكثير من الجرائم والفواحش من وراء استقدام السائقين والخدم، ولكن التقليد الأبله، والثقة العمياء ربما حجبت الرؤية عند قوم وأصمت آذان آخرين.

اتقوا الله معاشر الرجال في قوامتكم ومسؤوليتكم، واتقين الله معاشر النساء في رعايتكن للبيوت ولا تطلبون من الأزواج ما خالف الشرع أو كان سببا للفحش، ومن يتق الله يجعل الله مخرجاً

خامساً: متابعة وسائل الإعلام الماجنة:

كسماع الغناء والخنا، والعكوف على مشاهدة المسلسلات الهابطة والنظر إلى الأفلام الخليعة، تلك التي تبثها وسائل الاعلام بمختلف قنواتها، إن هذه المشاهد المؤذية تروض البنين والبنات على الفحش، وتذهب عنهم ماء الحياء، وإذا نزع الحياء من أمة فقد تودع منها.

وإني لأعجب كيف لكلمات الآباء وتوجيهات الأمهات أن تصل إلى الاولاد وهم يستقبلون كل يوم عشرات المشاهد والكلمات التى تنسخ بالليل ما سمعوه منهم بالنهار، ويظل الشيطان بالإنسان يغريه ويغويه حتى ينتقل من مرحلة إلى أخرى وكأنما خلق للهو والعبث فلا يكفيه أن يشاهد من الداخل بل يطمع بمشاهدة كل جديد ولو كان فيه حتفه، ولا ينصب بعضهم أعمدة البث المباشر في أول الامر حتى إذا أمن عقوبة الناس أو تخفف بعض الشيء من نقدهم أعلنها وأعلاها، وكان نقد الناس هو العائق عن المجاهرة.

أما ما تحويه هذه الدشوش من بلاء وفتنة، وما تحمله من سموم مبطنة فتلك آخر ما يفكر فيها، وأما ما تحمله هذه المادة المبثوثة من غزو للأفكار فهي أمور مقصودة، ومن تدمير للأخلاق مبرمجة ومدروسة، فذلك ما تغيب عن باله في سبيل اللذة الآتية، والنهم في معرفة ما لدى الآخرين، ومن العجب أنك لا تجد أحدا . حين المناقشة . يخالفك الرأي في الأثر السيء لسماع الغناء والخنى، و النظر إلى المشاهد المثير للغرائز والعواطف، في أي وسيلة وعبر أي قناة ... ومع ذلك تحس بالإصرار على الخطأ أحيانا، وتحس بالتجاهل لنتائج الدراسات العلمية لهذه البرامج على النشئ مستقبلا، لا اعتقد أن البعض جاهل إلى هذه الدرجة، والماساة لا تحل به وحده، بل تطبع جيلا من أبنائه وأبناء غيره لا همّ لهم إلا ضياع الأوقات في زبالات الأفكار الورادة، والاستجابة لتربية الغرباء بدلا من تربية الأمهات والآباء، وإنما القضية ضعف في اتخاذ القرار وانشطار في القوامة بين الرجل والمرأة في البيت.

وكان الواجب يفرض عليهما التعاون على البر والتقوى لما فيه الرشد والفلاح، وسيحس الأبوان حينها بإشراق البيوت بنور الله، وامتلاء القلوب بذكر الله، وستفر الشياطين كالحمر المستنفرة، وستحل محلها الملائكة تشهد الخير وتترك معها السكينة والرحمة، والفرق بين الحالتين كبير، والتجربة أكبر برهان.

ولقد استشرى في مجتمعنا نتيجة وسائل الإعلام الماجنة أن العشق شيء جميل، فترى الشباب الذين ليسوا متمسكين بالدين أو نقول وفق تعبيرنا: ليسوا بملتزمين نرى حديثهم ما هو؟ عن الحب، أنت من تحب؟ والفتاة تقول أيضًا لصاحبتها أنتِ من تحبين؟ من هو حبيبك؟ من تراسلين؟ الحب والخنا العشق من أين جاء هذا؟ جاء من وسائل الإعلام المدمِّرة التي قلّ أن تكون هناك مسلسلة أو تمثيلية إلا وفيها دور للعشق والحب، كانت الأسرة في الماضي لا تعرف الغزل وأيضًا كان الأبوان لا يحبان أن ينظر أولادهما إلى غزل أو أن يتلفظا بكلمات حب أو عشق وأصبحت ترى الأسرة بكاملها بينهما الأب والأم

والفتاة والفتى يجلسون على شاشة التلفاز وأمامهم تمثيلية أو مسلسلة، وفي هذه التمثيلية أو المسلسلة رجل يقول لفتاة: أحبك، وفتاة تقول لرجل: أحبك، واسمع إلى تلك الكلمات التي تخرج منهما، والأب والأم ينظران والفتى والفتاة ينظران فأصبح المنكر معتاداً بسبب ماذا؟ إذن الأغاني والمسلسلات والروايات الساقطة التي فيها كذلك العشق والغرام أدى كل هذا إلى أن تخترم العفة، وإلى أن تكون العفة في كثير من الأسر نادرة، فأصبح الإنسان الذي يريد أن يتزوج من أسرة ما يتخوف من أن تكون هذه الفتاة تراسل رجلاً ويراسلها، أو تحدث رجلاً في التليفون، أصبح الرجل يخاف بسبب ماذا؟ بسبب ندرة العفة والاستعفاف، هذا مظهر من مظاهر الانهزام لمجتمعاتنا أمام النفس الآمارة بالسوء.

مظهر العشق والهوى والغرام، وإن الذي يقع في هذه الحفرة . حفرة الحب والغرام . لا يكاد يرى ديناً، وكذلك لا يكاد يصلح ديناً، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الإنسان لا يحصل على حلاوة الإيمان إلا إذا حصل على ثلاثة شروط، الأول: أن يكون الله والرسول أحب إليه مما سواه، الثاني أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار.

ويقول الله تعالى: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله"، إي والله،

سادساً: التغرير بالمرأة بدعوى تحرير المرأة من كل حشمة ووقار، ومطالبتها بالخروج والاختلاط بالرجال،

وهى دعوات مبطنة تتخذ أساليب عدة . ليس هذا موضع تفصيلها . لكني أنبه إليها بإجمال ليحذر المؤمنون والمؤمنات أولئك الذين يخرجون باسم التقدم والحضارة

في بلادنا بفضل الله بلغت الأمة مبلغا من العلم والوعي لم تعد فيه تنخدع ولا تستجيب لهذه الدعوات التى يعرف أصحابها في لحن قولهم: "أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم" [محمد:٢٩-٣٠].

وحرم الاختلاط بين الجنسين. خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يوماُ بعد الصلاة من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء، وهن متلفعات بمروطهن عليهن حجابهن رضي الله عنهم أجمعين رجالاً ونساءً، قال لهن المصطفى الله صلى الله عليه وسلم: ((أستأخرن

فليس لكن أن تحققن الطريق (أي تتوسطن فيه) عليكن بحافات الطريق)) فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.

ويدخل في ذلك تبعاً المصافحة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له)) قال العلماء: سواءً كان بحائل أو بدون حائل، وقدوتنا في ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم، فها هي عائشة رضي الله عنها تخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه "ما مست يده يد امرأة إلا امرأة يملكها" فهل يعي ذلك مدعو الحضارة والتقليد الأعمى.

سابعاً: السفر للبلاد الإباحية دونما حاجة، والتردد كثيرا على البلاد التي ينتشر فيها الفساد وتعلن الرذيلة أسباب جالبة لوقوع الزائر في الشراك، وإن لم يقصدها،

ثامناً: ضعف رقابة الآباء والأمهات على البنين والبنات،

تاسعاً: صعوبة الزواج، لغلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج،

المغالاة في المهور سبب رئيسي في إحجام كثير من الشباب عن الزواج مما يسبب الإكثار من النساء العوانس في البيوت والشباب طاقة تتوقد من الشهوة وكذلك الفتيات اللاتي لم يتزوجن فإذا كان الأب عائقا في زواج بناته فسوف يلجأن إن كن ضعيفات الدين إلى فعل الفاحشة والرذيلة وهناك سؤال أحب أن أطرحه هل تزويج الفتاة أفضل أم فعلها للفاحشة أفضل؟ بل الزواج أفضل وهو سنة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، لهذا يجب أن يعلم الأب الذي يعيق زواج ابنته أنه يجب عليه هو أن يكافئ خطيب ابنته لأنه أراد أن يعفها عن الحرام وأحب أن أذكر هذه القصة التي وقعت وذلك أن رجلا حضرته الوفاة وكانت جواره ابنته العانس فقالت لأبيها: قل آمين، قال: آمين، قالت، قل: آمين، قال: آمين، قل: آمين، قال: آمين، ثم قالت: أسأل الله أن يحرمك الجنة كما حرمتني من الزواج.

هل هذا يرضي الآباء أن يدعوا عليهم أبناؤهم من بعدهم.

فاتقوا الله يا أيها الآباء اتقوا الله في بناتكم ويسروا ولا تعسروا وسهلوا ولا تشددوا وكونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير)) رواه الترمذي وهو حديث صحيح

ويستحب المبادرة إلى النكاح: كما قال صلى الله عليه وسلم: ((يا علي!! ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا آنت، والجنازة إذا حضرت، والأيم (المرأة) إذا وجدت لها كفؤاً)).

وعن الحسن قال: قال لي معاذ في مرضه الذي مات فيه: زوجوني فإني أكره أن ألقى الله أعزباً" والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة قد مر ذكرها

حرم الشارع الحكيم بعض المناكح سداً لذريعة الزنا، فمن ذلك:

وفيمن تزوج نفسها بنفسها أو بغير إذن وليها من الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا (أي تخاصموا) فالسلطان ولي من لا ولي له)).

وعن عكرمة بن خالد أن الطريق جمعت ركباً فجعلت امرأة ثيب أمرها إلى رجل من القوم غير ولي فأنكحها رجلاً فبلغ ذلك عمر فجلد الناكح والمنكح ورد نكاحها.

وحرّم زواج المتعة، وهو النكاح المنقطع بأجل... قال عليه الصلاة والسلام عن المتعة: ((ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطي شيئاً فلا يأخذه)).

ومن ذلك نكاح التحليل، وهو ما يسمى فاعله بـ "التيس المستعار"، قال صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله المحلّل والمحلّل له)).

وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال له – عن امرأة – تزوجتها أحلّها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم. قال: لا إلا نكاح رغبة، إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها. قال ابن عمر رضي الله عنهما: وإن كنا نعدّ هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفاحاً. قال: ولا يزالا زانيين وإن مكثا عشرين سنة.

وشرع الإسلام التعدد ولكن مع العدل فيما يملك "فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أنى ألا تعولوا أي تجوروا وتظلموا".

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))،

فالرسول صلى الله عليه وسلم هنا ذكر البديل لمن لم يستطع الزواج، ألا وهو الصوم ولو كانت هذه العادة السيئة مرخصة لرخصها النبي صلى الله عليه وسلم ولذكرها؛ لأنها أسهل

من الصوم، ولكنه عليه الصلاة والسلام ما ذكرها بل ذكر الصوم فدل ذلك على أنها داخلة في عموم الآية: "والذين هم لفروجهم حافظون"، فدل ذلك على حرمتها.
وكذلك هناك قاعدة "أن ما أدّى إلى الضرر فهو حرام" وهذه العادة ثبت بالطب إلى أنها تؤدي إلى أمراض شتى وإلى معوقات للزواج، وهذا يؤكد على حرمتها ويؤكد على عدم حليتها، فإلى الذين يتهاونون في هذه العادة السيئة نصيحتي أن يتقوا الله تعالى.

عاشراً: ضعف التوعية في مدارس البنين والبنات عن مخاطر جريمة الزنا

الحادي عشر: من أسباب الزنا: خلوة الرجل بالمرأة التي ليست من محارمه
لأن ذلك مدعاة إلى إغراء الشيطان لهما بالفاحشة مهما بلغا من التقوى والدين، فإن من أخطر الأمور التي حذر الله منها المسلمين اختلاط الجنسين الرجل والمرأة حيث إنه من أكبر الأسباب الميسرة للفاحشة وأخطر من ذلك الخلوة بالمرأة من غير ذات المحارم فإن في ذلك مدخلا للشيطان ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم)).
فمن خلا بامرأة لا تحل له فقد عصى الله ورسوله وعرض نفسه للفتنة سواء خلا بها في بيت أو مكتب كما يفعل تلاميذ الغرب ومقلدوهم من تشغيل المرأة مع الرجل وخلوته بها في العمل والمكتب والمتجر، وكذا ركوب المرأة مع الرجل الأجنبي في السيارة خاليين كما يفعل بعض أصحاب سيارات الأجرة وبعض أصحاب الثروة والترف الذين يجعلون لنسائهم سائقين أجانب تركب إحداهن مع السائق وحدها ويذهب بها حيث شاءت وكذا ما يفعل بعضهم من جعل خادم في البيت من الرجال الأجانب يخلو مع النساء في البيت وترى الرجل يخرج من بيته وقد ترك زوجته مع الخادم الشاب الذي يتفجر حيوية ونشاطا وقوة لا يكون معهما أحد من الناس وهي لا تستتر منه وقد رفعت الكلفة بينهما وهي تأمره وتنهاه وتناديه وهو يجيب بحكم عمله والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، يحببه إليها ويحببها إليه حتى تقع الجريمة قال أحد السلف: (لو كنت خاليا بامرأة سوداء شمطاء خرقاء ما أمنت على نفسي منها)، فكيف بالله إذا كان السائق أو الخادم وسيما وقد يكون الزوج مسنا أو قبيحا أو ضعيفا فماذا تكون النتيجة إن لم يكن خوف الله مسيطر على الجانبين؟

وقد كان أحد الخدم يعمل لدى عائلة من كبار العائلات وكانت سيدته تأمره بمسدس تضعه في رأسه بأن يمارس معها الفاحشة وقد سأل هذا الخادم الشيخ عبد العزيز بن باز في محاضرة ضمن الأسئلة الموجهة إلى الشيخ ويقول: ماذا أعمل إذا كان جواز سفري لديها وهي تهددني بهذه الطريقة، فبكى الشيخ حفظه الله.

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا تباشر المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها]،

كم من رجل يا عباد الله يعول أولاد زنا أخيه أو قريبه بزوجته وهو يحسب أنهم أولاده، يرثونه وهم أولاد زنا، ويدخلون على محارمه وهم أولاد زنا، وكم من رجل طلبت زوجته الطلاق منه لتتزوج بأخيه أو قريبه الذي كان يخلو بها ويدخل عليها، بل وكم من مطلق زوجته ليتزوج بأختها وقريبتها الذي مكن من الخلوة بها والنظر إليها .

لقد رد النبي صلى الله عليه وسلم رجلا عن الجهاد حتى لا تخلو امرأته بأجنبي أو تسافر مع غير ذي محرم . روى الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [لا يخلون رجل بامرأة إلا معها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال: انطلق فحج مع امرأتك].

كيف يأمن –بالله عليكم– رجل غيور وشهم كريم أن يخلو الأجنبي بعرضه؟ كيف يطيب له أن يذهب إلى عمله ويترك الحمو الذي هو الموت في خلوة مع زوجته أو ذوات قرابته؟! فرب نظرة أوقعت في القلب من إبليس سهاماً ورب خطرة أولعت في قلب الأجنبي حرقة وهياماً؟! أما علم أنه ما خلا بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، وما ظنكم عباد الله باثنين الشيطان ثالثهما.

العصمة يا عباد الله لا تكون إلا للملائكة الكرام أو للأنبياء والمرسلين. ومن أصر فوق ما بينا، ومن استمر بعدما شرحنا على الدخول على الأجنبيات أو على إدخال الأجنبي على قريباته فقد عصى الله عامداً متعمداً، ومن استمر على ذلك بعدما أسلفنا خشية حزن الحمو أو غضبه فقد قدم طاعة ورضا المخلوق على طاعة ورضا الخالق، ومن استمر بعد ذلك لعدم قناعته بحكم الله فإنه في دائرة الكفر قد دار، ومن استمر فوق ما ذكرنا من النصوص الصحيحة على هذه المعصية بحجة الثقة أيضا فإن صنيعه ذلك يعني أن ثقته بالحمو أعظم وأكبر من ثقته بالله وبشرع الله وبحكم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن الخلوة أيضا ما شاع لدى فئة من أتباع الغرب ممن لا يخافون الله ولا يرعون حرماته، من استقبال المرأة صديق زوجها في حال غيابه، والسماح له بالدخول إلى بيتها والجلوس معه ومؤانسته والتبسط معه في القول وممازحته وما إلى ذلك، إن هذه خلوة محظورة شرعا ولا يجوز التساهل بها بحجة الثقة بالصديق والزوجة ولا يمكن أن يرضى بها إلا إنسان مريض القلب فاقد الغيرة، عديم المروءة، ومثله وأشد منه أن تسافر المرأة وحدها أو مع السائق أو مع الخادم لأن في ذلك ضياعا لها وغيابا عن الرقيب من أوليائها والغيورين عليها وهي المرأة الضعيفة التي سرعان ما تخضع لافتراس الذئاب البشرية رغبة أو رهبة وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها))، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم فقال له رجل: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني كتبت في غزوة كذا وكذا فقال له صلى الله عليه وسلم: انطلق فحج مع امرأتك)).

إن المرأة التي تسافر وحدها من مدينة إلى مدينة ومن بلد إلى بلد قد خرجت على هذه التعاليم النبوية وأسخطت ربها عليها.

وأحب أن أنبه على أن سفر المرأة ولو كان بالطائرة إذا لم يكن معها محرم لا يجوز حتى لو كان في المدينة الأخرى من يستقبلها من محارمها وقد أفتى بذلك الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله.

وكذلك ذهاب المرأة إلى الطبيب وحدها فإنه يحقق بذلك خلوة محظورة فيكشف بحكم مهنته عن مواضع في جسدها فهذه خلوة لا تجوز أيضا بدون محرم، وكذلك فإن الجلسات العائلية كما يسمونها التي يختلط فيها الرجال والنساء وهن في أتم زينه، وقد ألغين الحجاب وأظهرن المفاتن بحجة الصداقة وقد يكون في هذه الجلسات تبادل الحديث المبتذل والمزاح الهابط والنكتة اللاذعة والتعريض بأمور خاصة إن كل ذلك مما لا يجيزه دين الله وهو يعرض كيان الأسرة إلى الانهيار ويبدل الود بين الزوجين إلى تناحر فلقد تقوضت علاقات التراحم والانسجام العائلي في عدد من الأسر بسبب الاختلاط المستهتر.

قالت الكاتبة الإنجليزية (اللادي كوك) في جريدة الأيكو (إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم للمرأة) أ. هـ.

ومن أعظم أنواع الخلوة التي تكون مع قريب الزوج كأخيه وابن عمه وابن خالته أو ابن عمها وابن خالتها وكذلك خلوة الرجل مع ابنة عمه وابنة خالته وهكذا فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال صلى الله عليه وسلم: الحمو الموت)) رواه البخاري ومسلم.

والحمو هو قريب الزوج قال القرطبي: ومعناه أن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج وهذا القريب ليس من محارمها يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة.

ومعناه احذروا الاختلاط بالنساء والخلوة بغير المحارم.

وأعظم أنواع الخلوة أن يخلوا أقارب الزوج بزوجة قريبهم في سفره أو خروجه من البيت وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن ذلك كالموت لما يحدث فيه من أمور لا تحمد عقباها وقد ذكر أحد المشايخ مرة أنه أتاه رجل وقال له: إن أبناء أخي كلهم مني

فاسترجع الشيخ وقال له: انظر ما تقول قال: هو ما أقول لك إني أسكن مع أخي في داره وأنا عاطل عن العمل فإذا خرج أخي إلى العمل تزينت لي زوجته ثم أزني بها وهكذا فكل أبنائه مني فما العمل؟ وهذا أيها الأحبة غيض من فيض فالشارع الحكيم لم يحرم شيئا إلا وفيه مصلحة للفرد والمجتمع ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

إن الإسلام لم يفرض الحجاب على المرأة إلا ليصونها عن الابتذال والتعرض للريبة والفحش وعن الوقوع في الجريمة.

فكيف يجوز لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخالف أمر الله وترفع الحجاب أمام رجل أجنبي عنها بحجة أنه خادم أو سائق أو طبيب أو بائع أو خياط أو صديق الزوج أو قريب له أو أستاذ سواء كان في درس خاص أو في قاعة المحاضرات أو ما إلى ذلك؟

وكيف يرضى امرؤ يتقي الله ويخشاه بأن تخلو زوجته أو ابنته مع رجل أجنبي عنها؟ إن الإسلام أيها الإخوة حذر من خطر الجريمة ومنع أسبابها المؤدية إليها لأن من فرط في الأسباب وقع في الجريمة ومن حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه.

فلننتبه يا عباد الله، ولندرأ عن أنفسنا الوباء والخطر قبل حلوله لنحذر مكر الشيطان، فإن شره مسيطر على أنفسنا وعلى أهلينا وأمتنا ولنستجب لدعوة الله فنسعد في الدنيا والآخرة قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب".

= طرق العلاج من الزنا:

طرق العلاج من الزنا رهينة معرفة الأسباب ومرتبطة بعلاجها، فمعرفة السبب وإزالة الداعي إلى الفتنة أول طريق للعلاج، وبالتالي فإن تقوية الإيمان في النفوس، وصرف الأبصار عن الحرام -((إنما لك الأولى وليس الثانية))- ولزوم الحجاب الشرعي للمرأة، وعدم اختلاطها بالرجال أو خلوتها بهم، والوعي بمخاطر سفر المراة دون محرم، وعدم التهاون بذلك والتنبيه لمخاطر الهاتف والإعراض عن السفهاء، وعدم استقدام السائقين والخدم إلا لضرورة وبالمواصفات الشرعية، فالسائق مع زوجته، والخادمة مع زوجها، والاقتصار على المسلمين دون غيرهم، والحذر من وسائل الاعلام وما تبثه من برامج ساقطة وعدم الانخداع بدعوات المغرضين، أو الاستجابة لأصوات المنافقين، وتيسير المهور، ومراقبة البيوت، والإشراف ومزيد الاهتمام بالبنين والبنات، والاقتصاد في السفر للخارج . كل هذه اذا وضعها المسلم نصب عينه، وأولاها من العناية ما تستحق فستكون باذن الله عوامل ناجحة في العلاج وطرق مهمة لقطع دابر الفتنة.

ويبقى بعد ذلك دور الجهات المسؤولة في تنفيذ الأحكام، فلا تأخذ المسؤول لومة لائم في تطبيق الحدود وإقامة شرع الله كما أمر، فالله تعالى ((يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن))، وبعض الناس يخيفه عذاب الدنيا ويخشى العار من الخلق أكثر من خوفه من عذاب الله، وخشيته من الفضيحة في الدنيا من الفضيحة الكبرى، وهؤلاء لا تردعهم إلا القوة، ولا يصلح معهم الضعف والمسامحة، والله تعالى وهو أرحم الراحمين يقول في تطبيق الحدود على الزناة: "ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله" [النور:٢].

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى كلاما جميلا ومما قاله: وبهذا يتبين لك أن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده ورأفته بهم الداخلة في قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" [الأنبياء:١٠٧].

فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلا الخير إذ هو في ذلك جاهل أحمق.. إلى أن يقول: ومن الناس من تأخذه الرافة بهم لمشاركته لهم في ذلك المرض وذوقه ما ذاقوا من قوة الشهوة وبرودة القلب والدياثة فيترك ما أمر الله به من العقوبة، وهو في ذلك من أظلم الناس وأديثهم في حق نفسه ونظائره، وهو بمنزلة جماعة من المرضى قد وصف لهم الطبيب ما ينفعهم فوجد كبيرهم مرارته فترك شربه ونهى عن سقيه للباقين.

نعوذ بالله من الخذلان، ونسالك اللهم البعد عن الفواحش، والدياثة وسئ الخلق

الثاني عشر: إفشاء أسرار الفراش لأنه مدعاة إلى الفاحشة،

فهو من الأبواب التي سدّ شرعنا المطهر ذرائعها أو فتحها ما يتعلق بالرجل، وقد تشترك في بعضها معه المرأة،

قال صلى الله عليه وسلم: ((إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)).

وقد يتشهى بمثل هذه الأحاديث أناس في مجالسهم – والعياذ بالله – وكذا النساء، أجارنا الله، فكيف بالقصص الماجنة وأفلام الغرام، وقنوات الدش الآثمة.

الثالث عشر: البطالة والوقت الفارغ والجلوس على المقاهي:

وقد ورد النهي عن الجلوس في الطرقات صيانة للأعراض؛ فقال عليه الصلاة والسلام: ((إياكم والجلوس في الطرقات)) فقالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها. فقال رسول الله: ((فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه)) قالوا: فما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: ((غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)).

فالجلوس على الطرقات قد يكون سبباً في الدعوة إلى المعصية، فربما نظر إلى الأعراض، فكم رأينا من شباب يجلسون على طرق مدارس البنات من أجل إيذائهن، وكم تعرضوا لغيرهم إما بالسب أو الضرب، فلذا لابد أن يسد هذا الباب ولا يُفتح إلا بالضوابط التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم.

الخطبة الثانية

فضل العفة والتعفف

أخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وأبو داود وغيرهم بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها قال: فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها.. فحُفت بالمكاره قال: ارجع فانظر إليها. قال فرجع فقال: وعزتك لقد خفت ألا يدخلها أحد. ثم قال: اذهب إلى النار فانظر إليها. فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد

فيدخلها فحُفت بالشهوات قال: ارجع فانظر إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد)).

الجنة سلعة الله الغالية لا تُنال إلا بأن تتجاوز المكاره التي حفها الله عز وجل بها، وإذا أردنا النصر من الله رب العالمين ينبغي أن تكون النفوس طاهرة، ولن تكون النفوس طاهرة إلا بالاستقامة ولن تكون هناك استقامة وثبات على الاستقامة إلا بالمجاهدة، إلا بمجاهدة النفس.

فإلى الذين يريدون النجاة من النار والفوز بالجنة عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم فيزكوها، وإلى قلوبهم فيحيوها، أي ينظروا إلى أبدانهم فيشغلوها بطاعة الله، وإلى عقولهم فيخضعوها لعبودية الله رب العالمين، عندها ينال العزة في الدنيا والجوار.. جوار النبيين والصحابة والصديقين رضوان الله عليهم أجمعين في جنات النعيم.

وإن مما ينبغي للشباب أن يجاهدوا فيه ويصرفوا عقولهم عنه مصارعة شهوة الفجرة التي قال عنها صلى الله عليه وسلم: ((من ضمن لي ما بين لحييه وفخذيه ضمنت له الجنة)) هذه الشهوة تحتاج إلى مجاهدة وتحتاج إلى عفة وتحتاج إلى استعفاف، وما أشرفها من خصلة وما أكرمه من خلق، خلق العفة التي قال الله عز وجل عنها: "وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتى يغنيهم الله من فضله"

ليستعفف: ليطلب العفة كل من كان غير قادر على الزواج إما لقصور نفقة وإما لأي سبب آخر،

والعفة كما هي مطلوبة من غير المتزوج فهي في حق المتزوج آكد لذلك كانت العقوبة أشد على المتزوج، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))،

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . ذكر منهم عليه الصلاة والسلام . أشيمط زان))، وفي رواية: ((شيخ زان)).

لماذا خص هذا بالعذاب الأليم وبعدم النظر إليه يوم الدين؟ لأنه غير مستعفف، وقد بلغ من الكبر عتيا.

والعفاف هذه الخصلة إذا كان الإنسان متمتعًا بها فإنه إذا دخل حياة الزوجية فإنه يدخلها في سعادة وتستمر حياته في كرامة وفي طمأنينة، أمّا من دنس حياته بالرذيلة وارتكب الفواحش والموبقات فإنه قد لا يدخل هذه الحياة أبدًا، وهذه نعمة قد حرمها من دخلها وقد تلوث بهذه الموبقات فإنه يدخلها وهو يعاني فيها ما يعاني.

والله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا النفس والهوى ومنبع الركون إلى شهوة الفرج الحرام إنما هو عن طريق الهوى وعن طريق النفس التي قال الله عنها: "ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها"،

وإن العفة والاستعفاف تحتاجان إلى طاعة وإلى إخلاص لله رب العالمين،
وبعض الناس لربما يتورع عن الولوج في المعاصي والفواحش من أجل ضعف صحته أو الخوف عليها، هؤلاء لا ينالون الأجر الذي يناله الذي يستعف ويعف نفسه من أجل الله رب العالمين،
ولهذا أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة نفر آواهم المبيت إلى غار فانطبقت عليهم الصخرة ففرج الله عز وجل عنهم هذه الصخرة بصالح أعمالهم، وكان من بين هؤلاء رجل كان يحب ابنة عم له كأحب ما يحب الرجال النساء، فلما تمكن منها وجلس بين فخذيها قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فتركها . وهو قادر على الفاحشة . لله رب العالمين، فإذا بالصخرة انفرجت بنصيبه هذا من الإخلاص.
وكذلك انظروا إلى سلفنا الصالح الذين كانوا كما قال ابن عباس رضي الله عنه : "التقي هو الذي إذا خلا بالحسناء خاف الله عز وجل وحصن فرجه".
ومن النماذج الرائعة التي وجدت في القرآن أو في سيرة سلفنا الصلاح والذين تمثلت فيهم العفة واقترن بهم الاستعفاف.
أولى هذه النماذج:
نموذج رائع في القرآن الكريم عن شاب امتلأ شباباً وفتوة ويعمل خادماً لعزيز مصر، هذا الشاب غلقت الأبواب دونه وجاءت امرأة جميلة ذات منصب تغريه وتطلب منه أن يقع في الفاحشة، هذا النموذج مُسطّر في سورة يوسف، يقول الله عز وجل: "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك" . وعلى قراءة "قالت هئت لك" أي تهيأت لك، "قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون. ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين".
هذا النموذج الرائع يضربه الله تعالى لنا حتى نتعظ ونعتبر وحتى يعلم الناس أجمعين أن العفة لا تكون هكذا بمجرد الخاطرة وإنما لابد لها من همة وإرادة، هذه القصة التي يضربها الله عز وجل في سورة يوسف نقف فيها وقفات:

الوقفة الأولى: أن الاستعانة بالله واللجوء إليه والاستعاذة به والفرار إليه هو من أقوى الأسباب التي تنال بها العفة؛ يقول الله سبحانه وتعالى: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء"، من الذي يحفظك من الفتنة؟ من الذي يحفظك من الزنا؟ من الذي يغض بصرك حقاً؟ من الذي يجعلك تغض بصرك؟ هو الله عز وجل رب العالمين، ولذلك فلا يغتر إنسان بنفسه، لا يغتر إنسان بثقته بل ينبغي عليه أن يتهم نفسه دوماً بقلة الهمة وبضعف الإرادة وأن يستعين بالله عز وجل لكي يصرفه عن السوء والفحشاء.

فهذا النبي الكريم يوسف عليه السلام لما طلبت منه امرأة العزيز وهمت به وهم بها إلتجأ إلى من؟ "قال معاذ الله".

والوقفة الثانية: عدم الاغترار بالنفس والركون إليها وأن الإنسان لا يعتمد على الثقة الزائدة بها، لما جاءت النسوة إلى امرأة العزيز ولُمنها على فعلتها قالت: "ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين"، ماذا فعل يوسف عليه السلام؟ التجأ إلى الله رب العالمين "قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه"، أن أسجن وأن أحبس أن تقيد حريتي هذا أحب إلي من أن أقع في الفاحشة "قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين"، إذا لم تصرف ربي أنت عني كيدهن سأصغي إليهن وستذهب قوتي وستخور عزيمتي وسأستمع إلى ما تقول فأسألك ربي أن تصرف عني كيدهن، فماذا كان الجواب؟ "فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم"،

وهكذا فإن الإنسان إذا ألمّت به فتنة ينبغي أن يلجأ إلى الله عز وجل، ولا ينبغي أن يخوض هذه الفتنة بغير استعانة بالله.

انظر ماذا يقول ربنا في الذين اتقوا إذا جاءهم الشيطان وسول لهم سوء الأعمال، قال سبحانه وتعالى: "وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم. إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون"، إن الذين اتقوا إذا مرّ عليهم طيف أو خاطرة من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، وكيف يكون التذكر؟ يكون بالاستعاذة من الشيطان وبالإستعانة بالله عز وجل.

الموقف الرابع: أن التساهل من المسلمين في دخول الرجال والخدم في البيوت من أكثر أسباب وقوع الكثير من الحوادث التي تسببت في انتهاك الأعراض، قال الحافظ ابن كثير .

رحمه الله تعالى . وهو يذكر لنا هذا العزيز الذي كان بالفعل ديوثًا، يقول الحافظ ابن كثير: كان زوجها . أي العزيز . لين العريكة وكان سهلاً أو أنه عذرها لأنها رأت أنها لا صبر له عنها، ولذلك تجرأت المرأة على أن تطلب هذا الطلب علانية بين النساء ، تطلب من يوسف عليه السلام أن يفعل فيها الفاحشة، ولذلك فإن الإنسان ينبغي عليه ألا يدخل الخدم على النساء، ليتقي الله عز وجل هذا الذي يركب ابنته مع السائق فيوصل السائق ابنته إلى الجامعة أو إلى المدرسة، ما هذا؟ أين الغيرة؟ أما تغار على عرضك أيها المسلم، لا ينبغي للمسلم أن يفعل هذا، لا ينبغي للرجل أن يترك خادمه يباشر النساء أو أن يدخل عليهن، يقول صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والدخول على النساء)) قال رجل: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟ . أي قريب الزوج أيدخل على المرأة . قال: ((الحمو الموت))، أي: إذا أدخلت الحمو إلى بيتك كأنك أدخلت الموت على أهلك.

الموقف الخامس: في هذه القصة أن الصحبة السيئة من أسباب الوقوع في الفواحش، ألا ترى أن امرأة العزيز لما انتشرت هذه الفضيحة بين النساء ماذا فعلت النساء اللاتي كن حولها؟ شجعنها على ذلك وذهبن إلى يوسف يطلبن منه أن يرضخ لكلامها فقال يوسف عليه السلام: "إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين"، وقال يوسف: "ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن"، أي في اشتراكهن في هذه الجريمة.

هذا نموذج في القرآن للعفة والاستعفاف.

نموذج آخر في سيرة سلفنا الصالح: هذه القصة لرجل صالح عفيف يهاجر مع امرأة أيامًا متتالية لا أحد معهما ويضرب مثالاً عاليًا للعفة والاستعفاف، تلك هي أم سلمة رضي الله تعالى عنها تقول: [لمّا فرق قومي بيني وبين ابني، وهاجر زوجي إلى المدينة مكثت أيامًا أبكي أخرج إلى خارج داري ثم أعود إليه، فقام رجل من بني المغيرة رآني على حالي فرق لي، وقام إلى قومي وقال: ألا تخرجوا هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وابنها؟ قالت: فتركوني أهاجر إلى المدينة وأعطتني بنو أسد . قوم زوجها . ابني، فأخذت ابني فوضعته على حجري وركبت بعيري وسرت وليس معي أحد إلا الله، حتى إذا أتيت إلى التنعيم . موضع قريب من مكة تجاه المدينة . لقيني عثمان بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ فقلت: أريد المدينة، فقال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا، قال: مالك من مترك؟ مالك من مترك . أي كيف أتركك تسافرين وحدك . فأخذ بخطام بعيرها فسار معها، قالت أم سلمة: فما رأيت قط رجل أكرم في العرب من عثمان بن طلحة، كان إذا جئت إلى مستراح أوقف بعيري وتأخر عني فإذا نزلت عن بعيري أخذ ببعيري وتأخر

بالبعير فربطه في الشجرة واضطجع تحت الشجرة، فإذا حان موعد الرحيل جاءني بالبعير فترك البعير وتأخر عنّي، فإذا ركبت البعير جاء وأخذ البعير وسار بي على ذلك أياماً متتالية حتى قرب من المدينة فرأى قرية عمرو بن أبي عوف فقال: يا ابنة أبي أمية، زوجك في هذه القرية، فقالت: فدخلت القرية فوجدت أبا سلمة، قالت أم سلمة . تحفظ الجميل لهذا الرجل .: فما رأيت رجلاً أكرم من عثمان بن طلحة قط في العرب].

هذا نموذج رائع في سلفنا الصالح في العفة والاستعفاف، الرجل لا ينظر إلى المرأة، ولا يبالغ في الحديث معها، بل يكلمها على قدر الحاجة، اركبي، انزلي، جاء البعير... على هذا النحو لا يبالغ معها في الحديث، هذه هي الرجولة حقًا، هذه هي العفة حقًا، لا أن تخضع المرأة بالحديث للرجل وأن يتكسر الرجل كذلك في الحديث مع المرأة. أهذه من العفة؟ لا، ليست هذه من العفة، وإن لكم فيهم لعبرة، وإن لكم فيهم لعظة.
أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا وأن يغفر لنا ذنوبنا إنه هو الغفور الرحيم.

= وسائل اكتساب العفة:

هناك بعض الأسس التي لابد أن ينتبه المرء إليها إذا أراد أن يكون عفيفًا، وليست العفة كما قدمت للرجل للذي لم يتزوج بل العفة كذلك للمتزوج، المتزوج العفة في حقه أبلغ، وينبغي عليه أن يكون أعف من غير المتزوج، هذه الأسس وهذه القواعد التي ألقيها عليكم لابد لها من شرط هام، هذا الشرط هو العزيمة والإرادة على التنفيذ؛ لأن هذه الأسس بغير عزيمة وبغير إرادة على التنفيذ تصبح وبالاً علينا ويسألنا الله عز وجل عنها:

الأساس الأول: التربية الإيمانية: أن تربي نفسك تربية إيمانية، أن تقوي صلتك بالله رب العالمين، أن تعلم أن الله تعالى يراك في السر وفي العلن، يقول تعالى: وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ويقول تعالى: يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور قال ابن عباس في قوله تعالى: يعلم خائنة الأعين قال: "هو الرجل يكون بين الرجال فتمر المرأة فيتظاهر بأنه يغض بصره، فإذا وجد فرصة نظر إلى المرأة والله إنه ليحب أن ينظر إلى عورتها" يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وقال تعالى: يعلم السر وأخفى وقال تعالى:

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد

ولذلك شرع الله لنا هذه العبادات حتى نقوي صلتنا به، وحتى نقوي التقوى، قال عز وجل:

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي .

وهناك بعض الوسائل التي تقوي الإيمان والتي تحد من الشهوة:

أولى هذه الوسائل: الصيام، قال : ((فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)).

ثانيًا: أن يحول معتقده الإسلامي في ذات الله وأسمائه وصفاته وكذلك في وجود الجنة والنار إلى معاني محسوسة في نفسه، أن يعلم أن معنى السميع أن الله تعالى يسمع كلماته، أن يعلم أن البصير هو أن الله عز وجل يُبصر حركاته، أن يعلم أن الله شديد العقاب بأنه يعاقب على المعصية، فهذه الأسماء والصفات لكي تتربى بها.

يقول الربيع بين خثيم . وهو من التابعين .: "إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا هممت فاذكر علم الله بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فانظر إطلاعه عليك، فإن الله يقول: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً .

وكذلك من الوسائل التي تقوي الإيمان الاكثار من ذكر الله، ليحصل لك الوجل من الله قال تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم يحصل لك الاطمئنان، قال تعالى: ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

كذلك الأساس الثاني: لابد أن نهتم بالتربية الأخلاقية، يقول : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائكم)) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

وإذا نظرنا في العفة وجدنا كتلة من الأخلاق الرفيعة العالية، فتجد فيها الصبر، ألا يصبر الإنسان على حر الشهوة؟ يقول الله عز وجل: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ألا ترى فيه الخوف من العقوبة، جلس بين يدي المرأة

القاعدة السادسة: تجنب المثيرات الجنسية: أن يتجنب الإنسان المثيرات، لا ينبغي للإنسان أن يوقع نفسه في أوساط المثيرات الجنسية وهذا يتأتى كما أسلفت بغض البصر والابتعاد عن مواطن كثرة النساء، واختلاط الرجال بهن كالأسواق مثلاً، لا ينبغي عليك أخي الشاب في هذه الأيام أن تذهب للأسواق لمجرد بضاعة لا خير فيها أو منفعتها زهيدة بل ينبغي عليك أن تتورع عن أن تكون في هذه الأسواق؛ لأنها والله موئل للشيطان وما أكثر الفساد فيها فإن الفساد تراه بأم عينك ولا تستطيع . للأسف الشديد . أن تغيّره، فينبغي عليك أن تبتعد عن هذه المواطن، الأسواق، ومواطن اللهو التي فيها الاختلاط، فيتجنب المثيرات؟؟؟؟

الوقاية السابعة: الصحبة الصالحة، فإن الصحبة الصالحة تعينه على أن يحفظ بصره وعلى أن يحفظ فرجه وإن لم يستحي من الله فإنه سيستحي من الصحبة الصالحة الذين هم حوله والذين يذكرونه إذا نسي ويعينونه إذا ذكر.

هذه هي الوقايات التي يجب أن نلتفت إليها.